

المعرفة التوحيدّية في دعاء عرفة



Daleel

Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

الكراس 10 | سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل

سلسلة إصدارات
مؤسسة الدليل
10

المعرفة التوحيديّة

في دعاء عرفة

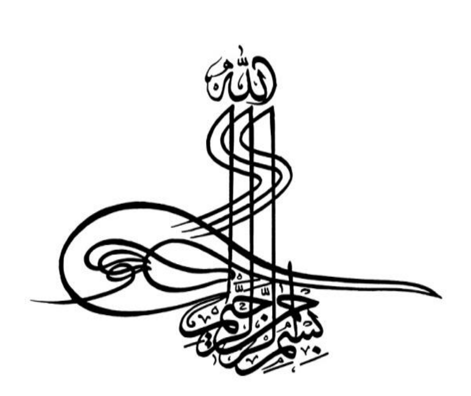
ويليه نصّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة



مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst


شبكة الفكر
alfeker.net



هويّة الكراس

اسم الكراسة: المعرفة التوحيدية في دعاء عرفة
المؤلّف: الدكتور يحيى عبدالحسين هاشم آل دوخي
الإشراف العلميّ: المجلس العلميّ في مؤسّسة الدليل
التقويم اللغويّ: علي گيم
تصميم الغلاف: محمدحسن آزادگان
الإخراج الفنّيّ :فاضل السوداني
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة



http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.

تعدّ المنظومة الفكريّة العقديّة من أهمّ دعائم شخصيّة الإنسان وتميّزه البشريّ؛ فهي الّتي تحدّد نظرته العامّة للكون وعلاقته به، ولها تأثيرٌ مباشرٌ على مساره السلوكيّ، وطبيعة تعاطيه مع محيطه، ونمط الحياة الّتي يعيشها ـ هٰذا على صعيد الفرد ـ وأمّا على صعيد المجتمع فإنّ المنظومة الفكريّة العقديّة تنعكس على مجمل العلاقات بين أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نوع النظم (السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة) الّتي تحكم تلك العلاقات.

وعلى هٰذا فالمنظومة الفكريّة والعقديّة تتحكم بمصير الإنسان، فإمّا أن تصنع له سعادةً واستقرارًا وحياةً كريمةً، وإمّا أن تغرقه في شقاءٍ وندمٍ وفوضى.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدتـه، وأن يطمـئنّ لسـلامتها مـن الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات.

فاليوم وفي ظلّ الظروف الراهنة الّـتي يعيشـها العـالم الإسـلاميّ بشكلٍ عامٍّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصٍّ، ندرك أنّ هناك تهديدًا كبيرًا للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّـة ومـن دوائـر مختلفـةٍ، ونستشـعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة، ورفـع الشبهات التي ألبست على بعض الناس عقائدهم.

من هنا جاء مشروع مؤسّسة الدليل للبحوث والدراسات العقديّة التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ تلبيةً لهٰذه الحاجـة، وليحمـل على عاتقه مسؤوليّة التصدّي لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّـات المتاحـة؛ وذٰلـك للمسـاهمة في سـدّ الفـراغ الفكريّ العقديّ الّذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤيةٍ علميّةٍ موضوعيّةٍ، وبخطابٍ سـلسٍ شـيّقٍ يتنـاغم مـع أغلـب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقّر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكراسة العقديّة، وهي مؤلّفـاتٌ مـوجزةٌ في شـكلها وحجمها، كبيرةٌ في مضمونها وأهدافها؛ لمعالجة موضـوعاتٍ محـدّدةٍ، وحسب الحاجة الفعليّة.

وبما أنّ يوم عرفة يعدّ من المناسبات المهمّة الّتي تشهد حضورًا كبيرًا عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام، وبما أنّ قراءة دعاء الإمام الحسين عليه السلام المعروف بدعاء عرفة من الأعمال المهمّة فيه، وجدنا أنّ من المناسب إصدار كرّاسة تهتمّ بإبراز أهمّ المضامين المعرفيّة والتوحيديّة الّتي ركّز عليها الإمام الحسين عليه السلام في هٰذا الدعاء.

وقد أخذ عضو المجلس العلميّ في المؤسّسة **الدكتور يحيى عبد الحسن هاشم آل دوخي** مهمّة كتابة هٰذه الكرّاسة على عاتقه، فتقرّر أن يكون البحث تحت عنوان (المعرفة التوحيدية في دعاء عرفة).

ولا يفوت مؤسّسة الدليل أن تشكر الباحث الكريم؛ لما بذله من جهدٍ قيّمٍ في كتابة هٰذا البحث، راجين له التوفيق والسداد.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.



المقدّمة

لا شكّ أنّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين الدعاء والعبادة؛ لأنّ الدعاء هو مخ العبادة[1] ـ بل هو جوهر العبادة ـ لذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يؤكّد على ذلك كثيرًا، لا سيّما في جوابه على أحد أصحابه وتعقيبًا على هذه الآية الكريمة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، فقال الإمام عليه السلام: «هي والله العبادة، هي والله العبادة»[3]. ويقصد بذلك الدعاء بقرينة السياق للآية الكريمة. والعبادة كما هو معلومٌ تقتضي أن

---

(1) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدعاء مخّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحدٌ». [الراونديّ، قطب الدين، الدعوات، ص 18]

(2) سورة غافرٍ: 60.

(3) المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 81، ص 223.

يكون الإنسان عارفًا بربّه، فهناك تناسبٌ طرديٌّ بين كمال العبادة وشـدّة المعرفة بالله جلّ شأنه؛ لذٰلك نجد أنّ منظومة الأدعية الّتي صـدرت عـن المعصومين عليهم السلام تحمل طابعًـا معرفيًـا وتوحيـديًّا، بـل وبيانًـا للمقاصـد الدينيّة والأخلاقيّة.

ولعلّ دعاء أبي الأحرار وسيّد الشهداء عليه السلام في يـوم عرفـة يحمـل هٰذا المعنى، فعندما نستنطق هٰذا الدعاء، فلا نجد فيه سوى التأكيـد على هٰذه المعارف الإلٰهيّة، الّتي تشدّ وتوثق عرى الإيمان بين الإنسان وخالقه، وبطبيعة الحال فـإنّ هٰـذه المفـاهيم مسـتوحاةٌ مـن الـرؤى القرآنيّة؛ لذا نجده حاضرًا ـ أي القرآن ـ في كلّ مفرداتـه وكلماتـه، ولا غرو في ذٰلك؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام مع القرآن، والقرآن معهم، لا يفارقونه حتّى يردوا على النبيّ الحوض[1].

وأمّا الهدف الّذي يحمله هٰذا الدعاء فجـليٌّ وواضـحٌ، وهـو سـموّ البشرية وارتقاؤها إلى مراتب والكمال الروحيّ والمعنويّ.

ومن هنا جاءت هٰذا الكرّاسة الموسومة بـ (**المعرفة التوحيدية في دعاء عرفة**)؛ لنغترف منها المضامين المعرفيّة والتوحيديّة، من

---

(1) المصدر السابق، ج 22، ص 150.

خلال نقل بعض النصوص المرتبطة بهٰذين المفهومين (المعرفة والتوحيد)، ومن ثمّ بيانها وشرحها، وقبل ذٰلك ألمحنا باختصارٍ إلى مبحثٍ أسميناه: لماذا المعرفة بالله تعالى؟ وألمحنا باختصارٍ إلى أدب الدعاء في عرفة، وشرحنا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام قبيل البدء بقراءة الدعاء.

وأخيرًا نسأله ـ تعالى ـ أن نكون ممّن يدعو الله وتُجاب دعوته، فهو القائل جل شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]. فالباري ـ جلّ شأنه ـ قريبٌ منا، بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، يسمعنا إذا ناجيناه، ويعطينا إذا دعوناه.

---

(1) سورة البقرة: 186.

1. لماذا المعرفة بالله - تعالى - عند الدعاء؟

معرفة الله ـ تبارك وتعالى ـ هي أصل الدين وأساسه؛ لأنّنا إذا عرفنا الله ـ تعالى ـ وصفاته كالجود والكرم والغنى والعلم والحكمة وعرفنا أوامره ونواهيه، فهٰذا يدفعنا للتفاني والإخلاص في طاعة ربّنا وامتثال أمره؛ فإذا عرف العبد أنّ ساحته ـ تعالى ـ تتّصف بالغنى المطلق من جهةٍ، وأنّ هٰذا الغنى محفوفٌ بالكرم المطلق الّذي لا شائبة فيه للبخل على الإطلاق من جهةٍ أخرى، كما أنّ هٰذا الكرم والعطاء لا يكون ـ طبقًا لقاعدة الأصلح بحال العبد ـ جزافيًّا، بحيث لا يغدق عليه ما يفسد عليه شأنه من جهةٍ ثالثةٍ، وأنّه ـ سبحانه ـ يغدق على عبده تكرّمًا وتحننًا وتلطّفًا من جهةٍ رابعةٍ، إذا ألمّ العبد بهٰذه الجهات كلّها في موضوع الدعاء كان ذٰلك عاملًا معرفيًّا مهمًّا في كيفيّة دعائه وفي استجابته.

ومن النصوص الّتي تشير لهٰذه الحقيقة ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سُئل، ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال:

«لأنّكم تدعون من لا تعرفون»[1].

والدين هٰذه المنظومة المتكاملة الّتي لا بدّ للإنسان أن يكون عارفًا بدقائقها وتفاصيلها، فقوام الدين بالمعرفة كما هو جليٌّ وواضحٌ. والدعاء وإن كان الطابع العامّ فيه هو شدّ الإنسان بخالقه والتوسّل إليه بأنبيائه ورسله، ولٰكن في الوقت نفسه كثيرًا ما نجد أنّ التعريف بخالق الكون والتوسّل بصفاته وأسمائه ـ تبارك وتعالى ـ والدعوة إلى التوحيد مفاهيم حاضرةٌ في الدعاء؛ لذٰلك عندما نقرأ لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، نجده جعل قوام الدين متمثّلًا بمعرفته تعالى، ومعرفته متقوّمةً بنفي الصفات عنه.

قال عليه السلام: «أوّل الدين معرفته، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، فمن وصف الله ـ سبحانه ـ فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله»[2].

وقد تعقّب السيّد الطباطبائيّ هٰذا النصّ بقوله: وهو من أبدع البيان، ومحصّل الشطر الأوّل من الكلام أنّ معرفته تنتهي في

(1) الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، ج 2 ص 467.

(2) عبدة، محمد، نهج البلاغة، ج 1، ص 14.

استكمالها إلى نفي الصفات عنه، ومحصّل الشطر الثاني المتفـرّع على الشطر الأوّل ـ أعني قوله عليه السلام: فمن وصـف الله فقـد قرنـه... ـ أنّ إثبات الصفات يستلزم إثبات الوحدة العدديّة المتوقّفة على التحديـد غير الجائز عليه تعالى، وتنتج المقدّمتان أنّ كمال معرفته ـ تعـالى ـ يستوجب نفي الوحدة العدديّة منه، وإثبات الوحدة بمعنى آخر، وهـو مراده من سرد الكلام[1].

فالمعرفة هي أن يعترف ويذعن العبد بوجوب وجود الله تعالى، أي وجود صانعٍ لهٰذا الكون، وكمال التصديق به، هو أن نوحّده، وكمال التوحيد أن ننفي الصفات عنه.

فوحدانيّته ـ تعالى ـ تعني أنّه لا شريك له في ذاته، وهٰذا يلازمـه أيضًا أنّه لا يتعـدّد؛ لأنّ مـن لـوازم العـدد التجزئـة، والّذي يقـول بذٰلك، أي بالتجزئة والتركيب لم يعرفه، بل يجهله جلّ شأنه.

إذن من خصائص العبـد أن يكـون عارفًـا بربّـه، وعارفًـا أيضًـا بعبوديّته لله تعالى، وأنّه عبدٌ محضٌ له جلّ شـأنه، فغايـة العبـادة هي التقرّب إلى الله بمعرفته وأنّه لا إلٰه سواه، وأنّه ليس بجسمٍ ولا عرضٍ

---

(1) الطباطبائيّ، محمدحسين، تفسير الميزان، ج 6، ص 92.

ولا صورةٍ، وأنّ كلّ الخلائق مفتقرةٌ في وجودها إليـه، فالعبـد محـض الفقر، والمولى ـ جلّ وعلا ـ هو محض الكمال، فهـو الملِـك الجبّـار المتعال، بيده ملكوت السماوات والأرض، الّذي لا مانع لما أعطـى، ولا معطي لما منع، فهو القادر على كلّ شيءٍ.

وسوف تأتي الإشـارة ـ إن شـاء الله ـ إلى مضـامين دعاء عرفـة، الّـتي نجـد فيهـا أجـلى صـور المعرفـة الربّانيّـة الّـتي ذكرهـا الإمـام الحسين عليه السلام في هٰذا الدعاء الشريف.

2ـ أدب الدعاء في عرفة

في هٰذا الدعاء الشريف تدفّق وتجـلّى الأدب الرفيـع سـلوكًا وقـولًا لسيّد الشهداء عليه السلام، الّذي ينـبغي لـلداعي أن يـتحلّى ويقتـدي بـه، ويستحضر ذلك الأدب الجمّ قبل أن يندمج ويتفاعل مع الدعاء.

وقبل أن نشرح فقرات هٰذا الدعاء العظـيم، حـريٌّ بنـا أن نلـقي نظرةً سريعةً ومختصرةً على ما فعله الإمام الحسـين قُبيـل الشـروع في الدعاء، فماذا فعل عليه السلام؟ وما هي الهيئة الّتي خرج بها؟ وبأيّ مفرداتٍ استفتح دعاءه؟

«خرج من فسطاطه، متذلّلًا خاشعًا، فجعل يمشيـ هونًـا هونًـا حتّى وقف هو وجماعةٌ من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبـل،

مستقبل البيت، ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال: الحمد لله الّذي ليس لقضائه دافعٌ...»[1].

إنّ الإنسان العارف بربّه يعلم أنّه مقدِمٌ على مخاطبة ربّ الأرباب، وخالق السماوات والأرض؛ فلا بدّ أن يكون خاشعًا متذلّلًا لسيّده ومولاه، وينبغي عدم الاستعجال في طلب حوائجه. وهٰذا ما تجلّى حينما خرج من فسطاطه بسكينةٍ وتذلّلٍ وخشوعٍ.

وكذٰلك ما نراه في الهيئة السلوكيّة: "فجعل يمشي هونًا هونًا"، فما أجملها من هيئةٍ! فأحدنا إن طلب حاجةً من مديره أو رئيس عمله، كيف يكون حاله؟! فما بالك وأنت تخاطب من أوجدك وأفاض عليك الوجود، مالك الملك، المحيي المميت، القادر المهمين، العزيز الجبّار المتكبر؟! والداعي بطبيعة الحال ممّن يريد أن تقضى حاجته، فحريٌّ بنا أن نكون بهٰذه الهيئة الّتي سلكها إمامنا الحسين عليه السلام.

وكذٰلك نرى السلوك العمليّ متجلّيًا بكونه وقف هو وجماعةٌ من

---

(1) المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 95، ص 214.

أهـل بيتـه وولده. فهنـا نـرى الحـثّ على عـدم الانفـراد في الدعاء، والتأكيد على أن يكـون جماعـةً؛ وذٰلـك لأنّ للجميـع أو المجموعـة حرمةً خاصّةً، وهو نوع أدبٍ أيضًا، فقد تكون الاسـتجابة قريبـةً؛ لأنّه ـ تعالى ـ لطيفٌ رحيمٌ بعباده، فيطمع الجميع بكرمه، وأنّه مـن البعيد أن يقبل الكريم البعض ويترك البعض الآخر.

يقول بعض المفسّرين: «كأنّ العبد يقول: إلٰهي ما بلغت عبـادتي إلى حيـث أسـتحقّ أن أذكرهـا وحـدها؛ لأنّهـا ممزوجـةٌ بـجهات التـقصير، ولٰكنـّي أخلطها بعبادات جميع العابـدين، وأذكـر الـكلّ بعبارةٍ واحدةٍ»[1].

"ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين". في هٰذا المقطع نرى الهيئة الّتي استقبل بها الإمام خالقه، لا سيّما وهـو في حالـة الحـجّ، فالنفوس مقبلةٌ على بارئها في حالة الذلّـة والمسـكنة، وكأنّـه يطلـب استطعامه من الآخرين، أي كما يمدّ المسكين يده طلبًا للحاجة. أيّ أدبٍ معنويٍّ هٰذا الّذي نجده من إمامٍ معصومٍ، يتعامـل مـع ربّـه وفي أشرف بقعةٍ وقرب بيته الحرام.

---

(1) الفخر الرازيّ، محمّد بن عمر، التفسير الكبير، ج 1، ص 248.

وبعدها افتتح الإمام عليه السلام الدعاء بقـوله: "الحمـد لله الّذي لـيس لقضائه دافعٌ". أي بالتمجيد لله ـ تعالى ـ وحمده والثناء عليه؛ وذٰلك لجماله وجلاله وعلو شأنه؛ لما ألهمنا من نعمٍ كثيرةٍ، فلا بدّ أن نشكره ونحمده؛ لأنّ قضاءه نافذٌ ولا يردّ ولا يعطّـل، وفيـه إشـارةٌ إلى قـوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

3ـ المنظومة المعرفيّة والتوحيديّة

بعـدما تقـدّم مـن أدب الدعاء واسـتفتاح الإمـام دعاءه بالحمـد والثناء، ننتقل الآن إلى كلمات الإمام عليه السلام في تلك البقعة الشـريفة في صحراء عرفاتٍ، ولنبدأ متأمّلين في مضامين هٰذا الدعاء، ولندقّق في تسلسل محتوى هٰذه النصوص العميقة والدقيقـة، ولنحـاول قـدر الإمكان أن نشرح ونوضّح فقراته، بحيـث تكـون سـهلةً ويسـيرةً في متناول القارئ الكريم.

أ. التوحيد الذاتيّ في دعاء الإمام

قال عليه السلام: «فَلَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَلا شَيءَ يَعْدِلُهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَيءٌ،

---

(1) سورة البقرة: 117.

وَهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ».

في هٰذا المقطع يشير الإمام إلى تلك الكلمة الّتي فطر الناس عليها، ونادت بها الأنبياء والرسل وهي توحيد الله وتنزيهه، فلا إلٰه غيره ولا شريك له، ولا ندّ له ولا نظير.

وهٰذا الكلام فيه إشارةٌ إلى التوحيد في الذات، ومفاده أنّه ـ سبحانه ـ واحدٌ لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل يمتنع أن يكون له نظيرٌ أو مثيلٌ، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ الْبَصير﴾[1].

وللتوحيد في الذات معنيان:

الأوّل: أنّ ذاته ـ سبحانه ـ بسيطةٌ ولا جزء له تعالى.

والثاني: أنّ ذاته ـ تعالى ـ متفرّدةٌ وليس له مثلٌ ولا نظيرٌ جلّ وعلا.

وقد يعبّر عن الأوّل بأحديّة الذات، وعن الثاني بواحديّته[2].

ثمّ ينتقل الإمام إلى بيان صفات (السمع والبصر)، ولعلّ العلّة

---

(1) سورة الشورى: 11.

(2) انظر، سبحاني، جعفر، الإلهيات، ص 36.

في ارتباطها بالتوحيد الذاتيّ هو أنّ السمع والبصر عند الله ـ تعـالى ـ ليس بجارحةٍ أو عضوٍ يسمع ويرى بها عزّ وجلّ؛ لأنّه ليس كمثله شيءٌ، بل ترجع هٰتان الصفتان إلى العلم، فإنّه ـ تعالى ـ عالمٌ بالمسـموعات والمبصرات. ووصف ـ تعالى ـ بهما نفسه ليفهم الناس بأنّه يعلم مـا يفعلونه يسمعهم ويراهم ويراقبهم في السرّ والخفاء.

فالسمع والبصرـ مـن صـفات الذات؛ لأنّهمـا فـردان لمطلـق العلم، والعلم صفةٌ ذاتيّةٌ ثبوتيّـةٌ لله جـلّ وعـلا، قـال السـيّد الطباطبائيّ: (إنّ الله هو السميع البصـير، أي له حقيقـة العلـم بالمسموعات والمبصرات لذاته) [1].

ثمّ يقول عليه السلام: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَدًا فَيَكُـون مَوْرُوثًـا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى مُلْكِهِ فَيُضَادَّهُ فيما ابْتَدَعَ، وَلَا وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ فَيُرْفِدَهُ فِيمَا صَنَعَ**».

في فقرات هٰذا الدعاء يركـز عليه السلام أيضًـا على التوحيـد الذاتيّ وعلى وحدانيّة الله تبارك وتعالى، من خلال سوق بعـض الأدلّـة العقليّـة؛ لكي يقرّب للناس أنّ الله واحدٌ لا شريك له.

---

(1) الطباطبائيّ، محمّدحسين، تفسير الميزان، ج 2، ص 320.

فبعد أن يثني بالحمد على الباري عزّ وجلّ، يشير الإمـام عليه السلام إلى معنى قرآنيٍّ ورد في سورة الإسراء في قوله تعـالى: ﴿وَقُـلِ الْحَمْـدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[1]، وهٰذا النصّ القرآنيّ يوضّح لنا ثلاث صـفاتٍ لله تبارك وتعالى، وهي كالتالي:

الأولى: نفي الـولد؛ لأنّ امـتلاك الـولد دليـلٌ على الحاجـة، وأنّـه جسمانيٌّ، وله شبيهٌ ونظيرٌ، والخالق ـ جلّ وعلا ـ لـيس بجسـمٍ ولا يحتاج لولدٍ، وليس له شبيهٌ أو نظيرٌ.

الثانية: نفي الشـريك ﴿وَلَم يَكُـن لَّهُ شَرِيـكٌ فِي الْمُلْـكِ﴾، إذ إنّ وجود الشريك دليل محدوديّة القدرة والحكومة والسلطة، وهو دليـل العجز والضعف، ويقتضي وجود الشـبيه والنظـير. والخـالق ـ جـلّ وعلا ـ منزّهٌ عن هٰـذه الصـفات، فقدرتـه كمـا هي حكومتـه غـير محدودةٍ، وليس له أيّ شبيهٍ.

الثالثة: نفي الوليّ والحامي عند التعرّض للمشـاكل والهـزائم ﴿وَلَـمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ﴾. ونفي هٰذه الصفة عن الخالق يعدّ أمرًا بدهيًّا،

---

(1) سورة الإسراء: 111.

ونفي أيّ مساعدٍ للخالق أو شبيهٍ له، سواءٌ كان ذٰلك في مرحلـةٍ أدنى (كالولد) أو في مرحلةٍ مساويةٍ (كالشريك) أو أفضل منه (كالوليّ)[1].

دلالة سورة الإخلاص على التوحيد الذاتيّ

يقول عليه السلام: «**سُبْحانَ اللهِ الْواحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**».

يبدأ الإمام عليه السلام بمفردة (سبحان) وهي تنزيـه الله ـ تعـالى ـ من النقائص وما لا يليق به سبحانه، ثـمّ يكـرّر تسـبيحه لله ـ تعالى ـ وينزّهـه مـرّةً أخـرى، ويحتمـل أن يـأتي هٰـذا التأكيـد للتنزيه؛ لكي يقرب دعاؤه مـن الإجابـة، فـإنّ تنزيـه المـولى مـن النقائص، والثناء عليه بأبلغ المحامد، تجعل العبـد قريبـًا منـه تعالى، وهٰذا ما يستدعي قرب الإجابة[2].

وهٰذه السورة المباركة تحتوي وتتضمّن التوحيد الذاتيّ والصـفاتيّ، فأمّا توحيد الذات فقد تقدّمت الإشارة إليه في فقرات الدعاء الأولى.

---

(1) انظر: الشيرازيّ، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج 9، ص 182.

(2) انظر: البحرانيّ، عباس أحمد، أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة، ج 1، ص412.

وتطبيق ذٰلك ما نجده في تفسير هٰذه الآية الشريفة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فكلمة الأحد إنّما تطلق على ما لا يقبل الكثرة لا خارجًا ولا ذهنًا؛ ولذٰلك لا يقبل العدّ ولا يدخل في العدد، بخلاف الواحد فإنّ كلّ واحدٍ له ثانٍ وثالثٌ إمّا خارجًا وإمّا ذهنًا [1].

وفي قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ دليلٌ على فساد مذهب المجسّمة؛ لأنّ الجسم لا يوصف بالأحد؛ إذ إنّه أجزاءٌ كثيرةٌ، وقد دلّ الله عزّ وجلّ بهٰذا القول على أنّه أحدٌ، فصحّ أنّه ليس بجسمٍ. وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ معناه الّذي تحقّ له العبادة، فهو الموصوف بأنّه (الصمد) الّذي يصمد إليه في الحوائج ليس فوقه أحدٌ، يقال: صمدت إليه أصمد إذا قصدت إليه، ومن قال: الصمد بمعنى المصمّت، فقد جهل الله؛ لأنّ المصمت هو المتضاغط الأجزاء، وهو الّذي لا جوف له، وهٰذا تشبيهٌ وكفرٌ بالله تعالى.

وقوله: ﴿﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفيٌ منه ـ تعالى ـ لكونه والد إلٰهٍ ولدٍ. وقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفيٌ لكونه مولودًا لإلٰهٍ والدٍ؛ لأنّ ذٰلك من صفات الأجسام، وفيه ردّ على من قال: إنّ عزيرًا والمسيح ابنا الله تعالى،

---

(1) انظر : الطباطبائيّ، محمدحسين، تفسير الميزان، ج 20، ص 387.

وإنّ الملائكة بناته جلّ ربّنا. وقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نفي من الله ـ تعالى ـ أن يكون له مثلٌ أو شبيهٌ أو نظيرٌ، والكفـوء والكفـاء والكفـء واحدٌ، وهو المثل والنظير[1].

يقول العلّامـة المفسّـــر محمدحسـين الطباطبـائيّ في (المـيزان): «السورة تصفه ـ تعالى ـ بأحديّة الذات ورجـوع مـا سـواه إليـه، في جميع حوائجه الوجوديّة، من دون أن يشـاركه شيءٌ لا في ذاتـه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو التوحيد القرآنيّ الّذي يخـتصّ بـه القـرآن الكريم، ويبني عليه جميع المعارف الإسلاميّة»[2].

ثمّ يوضّح الطباطبائيّ معنى الأحديّة بتقريبٍ بسيطٍ وواضحٍ بقوله: «واعتبر ذلك في قولك: ما جاءني من القـوم أحـدٌ، فإنّـك تـنفي بـه مجيء اثنين منهم وأكثر، كما تنفي مجيء واحدٍ منهم، بخلاف ما لو قلت: ما جاءني واحدٌ منهم، فإنّك إنّما تنفي به مـجيء واحـدٍ مـنهم

(1) انظر ، الطوسيّ، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ، ج 10، ص431.

(2) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 20، ص 387.

بالعدد، ولا ينافيه مجيء اثنين منهم أو أكثر»[1].

ويمكن أن نوضّح بشكلٍ مبسّطٍ الفرق بين مصطلح الواحدّية والأحديّة؛ وذٰلك لدفع التكرار الذي قد يتصوّره البعض عند القراءة، وأنّه لا فرق بين قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

وللجواب على ذٰلك فلآية الأولى تتكلّم عن (الأحديّة)، بمعنى أنّ الله ليس مركّبًا.

بينما الآية الأخرى تتحدّث عن (الواحديّة)، وأنّه ـ تعالى ـ فردٌ لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه، وهٰكذا أضحى عندنا أمران مختلفان في المفهوم هما: الأحديّة والواحديّة.

إذن فالتوحيد الذاتيّ يعني نفي التركّب والتعدّد والأنداد والنظائر، ومن ملازمات هٰذا التوحيد أن نقول: إنّ ذات الخالق ـ تعالى ـ عين صفاته، وإنّ صفاته تشكّل مع بعضها وحدةً واحدةً ليس فيها تركيبٌ. ومن هنا جاء قول الإمام عليه السلام: «فَلا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَلا شَيءَ يَعْدِلُهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ».

---

(1) المصدر السابق، ج 20، ص 387.

ب. توحيد الربوبيّة في دعاء الإمام

ثمّ قال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقِرًّا بِأَنَّكَ رَبِّي».

والمراد من توحيد الربوبيّة هو أن يكون للكون مدبّرٌ واحدٌ متصرّفٌ لا يشاركه في التدبير شيءٌ، فهو ـ سبحانه ـ المدبّر الوحيد للكون على الإطلاق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[1].

وهٰذا التوحيد لا يخلو من كلمات الإمام عليه السلام فالشهادة والإقرار بأنّ الله وحده هو مدبّر العالم ومربّيه ومنظّمه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

وهٰذا أيضًا ما نجده واضحًا في كلمات الإمام الصادق أيضًا، قال عليه السلام: «فلمّا رأينا الخلق منتظمًا والفلك جاريًا، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر

---

(1) سبحاني، جعفر، بحوثٌ قرآنيّةٌ في التوحيد والشرك، ص 25.

(2) سورة الأنعام: 164.

على أنّ المدبّر واحدٌ»[1].

وسأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام: «ما الدليل على أنّ الله واحدٌ؟ قال: اتّصال التدبير وتمام الصنع، كما قال الله عزّ وجلّ: لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا»[2].

بل أكثر من ذٰلك أنّ هٰذه الشهادة وهٰذا الإقرار قد أخذها الله ـ تبارك وتعالى ـ على عبده في ذٰلك العهد والميثاق الّذي أشارت إليه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[3].

الدليل على مدبريّة الله - تعالى - لخلقه

يقول عليه السلام: «فَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾ وَتَفَطَّرَتا».

---

(1) الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 81.

(2) المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 3، ص 229.

(3) سورة الأعراف: 172.

يعطي الإمام عليه السلام برهانًا جليًّا وواضحًا في تدبير الله لهٰذا العالم، فلو فُرض أنّ هناك إلٰهين لفسد نظام العالم، فلو انفرد كلّ واحدٍ من الآلهة المدبّرة لمجموع الكون بصورةٍ مستقلّةٍ ومنفردةٍ، ويعمل كلّ واحدٍ من هٰؤلاء الآلة ما يريده في هٰذا الكون دونما منازعٍ، ففي هٰذه الصورة يلزم تعدّد التدبير، بمعنى هٰذا الإلٰه يدبّر شيئًا، وذاك الإلٰه يدبّر شيئًا آخر، فالمدبّر في هٰذه الحالة يكون متعدّدًا ومختلفًا في الذات، وهٰذا يستلزم طروء الفساد على العالم، وذهاب الانسجام والانتظام الّذي نراه الآن في عالمنا. وهٰذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]. ومن خلال هٰذا الدليل نثبت وحدانيّة الله جلّ وعلا.

4ـ التأكيد على عقيدة التوحيد في خاتمة الدعاء

يقول عليه السلام: «**أَسْأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النّارِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا رَبُّ يَا رَبُّ**».

---

(1) انظر: سبحاني، جعفر، الإلٰهيّات، ص 412 (بتصرّفٍ).

(أسألك فكاك رقبتي من النار) هٰذه الأمنيـة الّـتي يطمـح لهـا كلّ إنسانٍ، وهي النتيجة الّتي يرومها من خلال مقـدّمات هٰـذا الدعاء؛ لذٰلك فقدّمها وأردف التوحيد بعدها، فلا بأس بتوضـيحها، حيـث يوجز الإمام ويلخّص سؤاله لله ـ تبارك وتعالى ـ بأمرٍ أساسيٍّ واحدٍ، وهو إن أعطاه الله هٰذا الأمر فلن يهتمّ بعد ذٰلك بما منعه، وإن منعه فلم يهتمّ بما أعطاه.

وإذا تأمّلنا عبارته عليه السلام وجدناها في غاية الروعـة والجمـال، فإن فكّ الله رقبة إنسانٍ من النار، فهل يضرّه بعـد ذٰلـك الفقـر والفاقة والخوف والجوع والبلاء في الدنيا، طالما أنّ الدنيا بأسرها زائلةٌ وفانيةٌ بنعيمها وبلائها وبهمّها وغمّها، فالفوز الحقيقيّ هو في عتق رقبة العبد من النار، وهي الحاجة الّتي يلح الانسان بها على الله ـ تعالى ـ لتحقيقها[1].

ثمّ يختم دعاءه الشريف بهٰذه الفقـرة: «**لا إلٰه إلّا أنـت وحـدك لا شريك لك**».

وإذا تأملنـــا في هٰـــذه العبـــارة أخـــذك العجـــب؛ إذ كأنـــه

---

(1) انظر: مرتضى، فرج، شرح دعاء الإمام الحسين في يوم عرفة، ص 94.

جعل عليه السلام توحيد الباري وسيلةً لفكاك رقبته من النار، وهي نعم الوسيلة، بل هي الوسيلة كلّها؛ إذ كلّ ما سوى الشرك مغفورٌ، وذلك بناءً لما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1].

وظاهر سياق الآية في مقام التعليل، فمغفرته ـ سبحانه ـ وعدم مغفرته لا يقع شيءٌ منهما وقوعًا جزافيًّا، بل على وفق الحكمة، وهو العزيز الحكيم، فأمّا عدم مغفرته للشرك؛ فإنّ الخلقة إنّما تثبت على ما فيها من الرحمة على أساس العبوديّة والربوبيّة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. ولا عبوديّة مع الشرك، وأمّا مغفرته لسائر المعاصي والذنوب الّتي دون الشرك، فلشفاعة من جعل له الشفاعة من الأنبياء والأولياء والملائكة والأعمال الصالحة[3].

---

(1) سورة النساء: 48.

(2) سورة الذاريات: 56.

(3) انظر: الطباطبائيّ، محمدحسين، تفسير الميزان، ج 4، ص370.

ثمّ في آخر فقرةٍ من الدعاء يردد الإمام كلمات (يا ربّ يـا ربّ...)، وكأنّه يشير بذٰلك إلى انحصـار الربوبيّـة بـه وهـو التوحيـد الربـوبيّ، والربّ مأخوذٌ من (ربب)، وهو المالك المصلح والمربّي، ومنه الربيبة، وهو لا يطلق على غيره ـ تعـالى ـ إلّا مضـافًا إلى شيءٍ، فيقـال: ربّ السفينة، ربّ الدار[1].

والربّ بتعبير السيّد الطباطبائيّ هو: «المالك المـدّبر لأمـر مملوكـه وهٰذا الملك لله وحده»[2]. وإذا كان العبد مملوكًا لسيّده فكيف لا يلهج بذكره ويكرّره مرّاتٍ ومرّاتٍ. وعلى أيّ حالٍ كأن الإمام عليه السلام يريد أن يقول في خاتمة دعائه:

إنّك يا ربّ خلقت وملكت كلّ شيءٍ بقـدرتك وقهـرت كلّ شيءٍ بعزّتك، وعلوت فوق كلّ شيءٍ بارتفاعك، وغلبت كلّ شيءٍ بقوّتك، وابتـدعت كلّ شيءٍ بحكمتـك وعلمـك، وبعثـت الرسـل بكتبـك، وهديت الصالحين بإذنك، وأيّدت المؤمنين بنصرك، وقهـرت الخلـق

---

(1) انظر: الخوئيّ، أبو القاسم، تفسير البيان، ص 453.

(2) انظر: الطباطبائيّ، محمدحسين، تفسير الميزان، ج 10، ص 94.

بسلطانك، لا إلٰه إلّا أنت وحدك لا شريك لك لا نعبد غيرك، ولا نسأل إلّا إيّاك ولا نرغب إلّا إليك، أنت موضع شكوانا ومنتهى رغبتنا وإلٰهنا ومليكنا[1].

وهٰذا هو التوحيد والمعرفة الخالصة لربّ الأرباب، ومعلومٌ أنّ من يتوسّل بهٰذه الصفات يستجيب له الباري جلّ شأنه، ويحقّق طموحه بقبول دعائه، بلطفه ورحمته وعطفه وكرمه.

إضافة فقراتٍ أخرى لدعاء عرفة

بعد انتهاء هٰذا النصّ، أضيفت فقراتٌ أخرى في كتاب (الإقبال) للسيّد ابن طاووسٍ ﵀، وكذٰلك في كتاب (البلد الأمين) للكفعميّ، وكتاب (زاد المعاد) للعلّامة المجلسيّ، ونقلها أيضًا عنه الشيخ عبّاسٌ القمّيّ في (مفاتيح الجنان)[2].

(1) انظر: الطباطبائيّ، محمدحسين، سيرة النبيّ ﷺ، ص 384.

(2) القمّيّ، عبّاسٌ، مفاتيح الجنان، ص 424؛ ولعل هٰذه الإضافة قد تكون نسبتها للإمام صحيحةً، وذٰلك بلحاظ ثلاثة أمورٍ:

الأوّل: أنّ السيّد ابن طاووسٍ عالمٌ فاضلٌ وضليعٌ ومتتبّعٌ للآثار والأدعية عن

أمّا فقرات نصوص هٰذا الدعاء فنكتفي فيما يصبّ في مجال بحثنا إن شاء الله تعالى، ومعلومٌ أنّ أغلب مضامين هٰذا الدعاء فيها من المباحث الدقيقة والصعبة نوعًا ما، وسوف نحاول ـ بإذن الله تعالى ـ بيانها بما يسهّل للقارئ العزيز فهم معانيها ومغزاها.

5ـ الأدلّة على وجود الله تعالى

قال الإمام عليه السلام: «**إِلٰهِي أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا**

الأئمّة المعصومين، ولو كان هناك أمرٌ قد اشتبه به أو شكّ فيه، فلعلّه لا يضعه بين دفّتي كتابه.

الثاني: لو دقّق المنصف بفقرات ومضامين الدعاء يراها منسجمةً تمامًا مع ما ينطق به المعصوم، فلا يستطيع رصّ كلماتها ورصف عباراتها، إلّا من نطق الوحي على شفتيه؛ لأنّ كلامهم نورٌ، ودون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

الثالث: ولأنّنا لو دقّقنا في مضمون رواياتٍ أخرى، وأدعيةٍ صحيحة السند، فقد نجدها لا تغاير مضامين هٰذا الدعاء الجليل. فلعلّ هٰذا يعد قرينةً على أنّ هٰذه المضامين قد صحّت نسبتها للإمام عليه السلام، وسوف نأتي على ذكر تلك الروايات في لاحق بياننا لمحتوى هٰذا الدعاء الشريف، ونكرّر القول إنّها تبقى في حيّز الاحتمال لا القطع.

فِي فَقْرِي إِلٰهِي أَنا الْجَاهِلُ فِي عِلْمِي فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي».

أ. برهان الفقر والغنى

«**إِلٰهِي أَنا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي**».

في هٰذا المقطع من الدعاء لعلّنا نفهم أنّ الإمام يشير إلى إثبات وجوده جلّ شأنه، فكلّ الموجودات هي فقيرةٌ ومحتاجةٌ لذٰلك الكمال المطلق، وهو الله تبارك وتعالى؛ ليفيض عليها الوجود، فليس المقصود من الفقرِ الفقرَ المادّيّ المحسوس، وإن كان الإنسان في حدّ ذاته ونفسه فقيرًا من جنبةٍ مادّيّةٍ، أي بحاجةٍ إلى الحياة والطعام والشراب، ولولا الباري ـ عزّ وجلّ ـ لما عاش هٰذا الإنسان، ولٰكنّ الإمام يترقّى إلى ما هو أبعد من هٰذا المعنى، ويذهب إلى أصل الوجود.

هٰذا الدليل يرتكز على أنّ كلّ موجودٍ ممكنٍ محتاجٌ إلى علّته التامّة حدوثًا وبقاءً، لاحتياجه إلى أصل الوجود وديمومته، وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه، فينحصر الغنى بواحدٍ واجبٍ لذاته، ومفيدٍ لوجود غيره من الموجودات، أعني الله سبحانه. فهو الغنيّ المطلق، وسائر الأشياء الموجودة فقراء محتاجون، وقد أشير إلى

هٰذا الحصر في الكتاب الإلٰهيّ بقوله تعالى: ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[1].

وبعبارةٍ سهلةٍ وواضحةٍ: نسأل هٰذا الإنسان، الّذي لا يمكن أن يُوجد نفسه بنفسه، ونقول له: من الّذي أوجدك؟ فإن قال فقيرٌ ممكنٌ مثلي.

قلنا له: هٰذا محالٌ؛ لأنّه ما فرضته هو محتاجٌ وفقيرٌ مثلك؛ لكي يُوجدك، وإلّا نقع في التسلسل، يعني الفقير يتوقّف على وجود فقيرٍ آخر، ولا تنتهي هٰذه السلسلة، إلّا أن نقول بوجود مطلقٍ غنيٍّ هو الّذي أفاض عليه الوجود، وليس ذٰلك سوى الله تبارك وتعالى.

ب. برهان دلالة الذات على الذات

ثمّ يقول الإمام عليه السلام: «**كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ، أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى**

(1) سورة محمّدٍ: 38؛ وانظر: النراقيّ، محمدمهدي، جامع السعادات، ج 2، ص 60.

بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَـرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا».

هنا يستفهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

كيف لي أن أستدلّ عليك، وأنا في وجودي مفتقرٌ ومحتاجٌ إليك؟ وهٰذا لا يمكن بمنطق العقل والحكمة؛ إذ كيـف يمكـن لفقـيرٍ أن يفيض الوجود على الغنيّ؟!

فكيف يكون ظهور لشـيءٍ من مخلوقاته لا يكون له، في حين أنّ جميع الأشياء تستمدّ ظهورها منه؛ لأنّه ـ سبحانه ـ قد وصف نفسه بأنّه نـور السـماوات والأرض: ﴿اللهُ نُـورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]. والنور هو المظهر للأشياء، لا أنّ الأشياء هي الّتي تظهـره، فهـو الّذي أوجدها وأفاض عليها كلّ ما يحتاج إليه الإنسان وغـيره، مـن حيـاةٍ وغذاءٍ وظهورٍ، فكيف يحتاج في الظهور إلى غيره، فهٰذا يسـتحيل في منطق العقل بل يمجّـه العقـل[2]؛ لذٰلـك جـاءت كلمـات الحكمـاء لتبرهن وتوضّح تلكم الكلمات الّتي صدرت من المعصوم كقوله عليه السلام:

---

(1) سورة النور: 35.

(2) انظر: البحرانيّ، عباس أحمد، أصول المعرفة في دعاء عرفة، ص 184.

«بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدر ما أنت». أو قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح: «يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملاءمة كيفيّاته»[1].

ومن هنا قرّر الحكماء هٰذا البرهان بمقدّماتٍ، هي كالتالي:

إنّ الموجود إمّا أن يكون واجب الوجود أو ممكن الوجود، فإذا كان واجب الوجود، فقد ثبت مطلوبنا، وإذا كان ممكنًا فالممكن يحتاج في وجوده إلى مرجّحٍ، و هٰذا المرجّح ممكنٌ فهو أيضًا بحاجةٍ إلى مرجّحٍ، وهٰكذا تستمرّ هٰذه السلسلة إلى ما لا نهاية. ولمّا كان الدور والتسلسل باطلان، فلا بدّ وأن الأمر إلى مرجّحٍ ليس ممكنًا، وإنّما يكون واجبًا، وواجب الوجود هٰذا هو الله تبارك وتعالى[2].

الشواهد الروائيّة لبرهان دلالة الذات على الذات

في هٰذا البحث ننقل الشواهد الروائيّة الّتي تتواءم مع ما يدعو به الإمام عليه السلام، ولا سيّما هٰذا البرهان الّذي تقدّم، ونذكر بعض

(1) المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 91، ص 243.

(2) ابن سينا، أبو عليٍّ، الحسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، ص 97 و98.

الروايات الّتي ذُكرت في هٰذا المجال:

ما رواه الكلينيّ بسنده عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين عليهما السلام: «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»[1].

وكذٰلك ما ورد عن أمير المؤمنين في دعاء الصباح: «يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفياته»[2]. وما رواه الصدوق عن أبي حازمٍ، قال: «قلت لأبي عبد الله: إنّي ناظرت قومًا فقلت لهم: إنّ الله ـ جلّ جلاله ـ أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون بالله، فقال: رحمك الله»[3].

وما ورد عن إمامنا زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثماليّ، قال: «بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إلَيْكَ وَلَوْلاَ أنْتَ لَمْ

---

(1) الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 85.

(2) المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 91، ص 243.

(3) الصدوق، محمّد بن عليٍّ، التوحيد، ص 285.

أَدْرِ مَا أَنْت»[1].

وما رواه الصدوق أيضًا بسنده عن عليٍّ عليه السلام، حينما سأله الجاثليق[2]، مع مئةٍ من النصارى، وكان فيما سأله أن قال له: «أخبرني عرفت الله بمحمّدٍ أم عرفت محمدًا بالله عزّ وجلّ؟ فقال عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: ما عرفت الله بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله، ولكن عرفت محمّدًا بالله ـ عزّ وجلّ ـ حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول، وعرض، فعرفت أنّه مدبّرٌ مصنوعٌ باستدلالٍ وإلهامٍ منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبهٍ ولا كيفٍ»[3].

إذن هٰذه النصوص الحديثيّة والروائيّة تشير بشكلٍ واضحٍ إلى أنّ الله هو الغنيّ المطلق، وهو محض الكمال، وهو النور الّذي يفيض الوجود على غيره، فبه ـ جلّ شأنه ـ نعرفه وبقلوبنا نراه، لا بالآثار الّتي هو أوجدها وأفاض عليها الحياة.

---

(1) الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد، ص 582.

(2) الجاثليق: هي كلمةٌ أرمنيّةٌ من أصلٍ يونانيٍّ، وهي عند بعض الطوائف المسيحيّة الشرقيّة تعني مقدَّم الأساقفة. والجمع: جثالقة.

(3) الصدوق، محمّد بن عليٍّ، التوحيد، ص 287.

ولهٰذا أشار عليه السلام بقوله: «**عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا**»، فالمراد من العين ليست هٰذه المادّيّة، بل هي عين القلب والبصيرة، فالعبد الّذي لا يلاحظ رقابة الله له في كلّ حركاته وسكناته وسائر تقلّبات أحواله، فهٰذا الإنسان يصيبه عمى القلب والبصيرة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

6ـ الحبّ الإلهي في كلمات الإمام الحسين عليه السلام

قال عليه السلام: «**وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيبًا**».

بعدما قدّم الإمام عليه السلام مضامين المعرفة والتوحيد في دعائه، وحيث إنّ المعرفة من آثارها حبّ الله تعالى، فلا بأس أن نرى كيف تعامل الإمام الحسين مع معشوقه، فنقول:

الخسارة عادةً تكون مقابل الربح، ولكن هٰذا المعنى المادّيّ بعيدٌ عن مراد الإمام الحسين عليه السلام، فمرامه بعيدٌ وأسمى وأرقى من المادّة ولوازمها، ولعلّه يريد أن يشير إلى أن العمل يجب أن يكون خالصًا

---

(1) سورة الحج: 46.

لوجهه الكريم دون غيره، فالحبّ هو ألّا يشــرك في العمــل غـير الله تعالى؛ لأنّ المحبّ لا يهمّه سوى رضى محبوبه[1]. وتعميق هٰذا الحـبّ الربّانيّ الإلٰهيّ في النفس الإنسانيّة، بحيث يشـرف ويشــرق على كلّ جوانب النفس، بحيث يكون هناك ذوبانٌ بين العاشـق ومعشـوقه، «ماذا وجد من فقدك، وما الّذي فقد من وجدك».

فكلّ وجودي متقوّمٌ بالذات الإلٰهيّة، بحيث من وجد رحمة الله وجد الحياة ووجد كلّ شيءٍ، وإذا فقدها فقد كلّ شيءٍ؛ لذٰلك كانت أقـوال الإمام الحسين عليه السلام تنبع من مبادئه الّتي عاشـها حـتّى في الكـوارث والخطوب، فلقد قال والسيوف تنهال عليه من كلّ جانبٍ: «**هوّن مـا نزل بي أنّه بعين الله**». فالحسين عليه السلام يسير بالألم والمصاب مـا دام لله فيه رضًى، فالحكمة والصلاح والخير هو ما يختاره الله، وإن كان فيـه ذهاب النفس والأهل والمال، فان حصل شيءٌ من هٰذا في سبيل الله، أو حصلت مجتمعةً، لم تضطرب النفس، ولم يتزعزع الإيمان[2].

---

(1) انظر: البحراني، عباس أحمد، أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة، ج 4، ص 200.

(2) انظر: مغنية، محمد جواد، نظرات في التصوف، ص 64.

وعندما نتأمّل في كلمات أمير المـؤمنين عليه السلام في دعاء كميـلٍ: «فهبني يـا إلٰهي وسـيّدي ومـولاي وربّي صـبرت على عـذابك، فكيف أصبر على فراقك»[1]. فهو لا يستطيع أن يفـارق محبوبـه، ولا طاقـة له على الصـبر، وهٰكـذا مـا نجـده في كلمـات الإمـام السجاد عليه السلام: «وعزّتك لقـد أحببتـك محبّـةً اسـتقرّت في قلـبي حلاوتها، وأنست نفسـي ببشارتها»[2].

وجاء أيضًا في مناجاتـه عليه السلام لله تعـالى: «إلٰـهي مَـنْ ذَا الّذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلًا، ومَـنْ ذَا الّذي أنـس بقربـك فـابتغى عنك حولًا»[3].

وورد في دعاء عرفة: «أنت الّذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّى لم يحبّوا سواك، ولم يلجأوا إلى غيرك»[4].

وقال عليه السلام: «يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة، فقاموا بـين

(1) الطوسي، محمد بن الحسن مصباح المتهجد، ص 847.

(2) الصحيفة السجادية، ص 462، تحقيق محمدباقر الأبطحي.

(3) المصدر السابق، ص 413.

(4) المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 95، ص 226، دعاء عرفة.

يديه متملّقين»[1].

فحبّه ـ تعالى ـ حين يتعمّق في النفس يدفعها نحو الكمال، نحو التضحية والصدق، فيكون الحبّ في الله والبغض في الله، ينسيها كلّ المتع الزائلة، ويمنحها حرّيّةً واعيةً ويزهّدها في كلّ شيءٍ إلّا رضاه تعالى، وإلّا ما يحقّق هٰذا الرضا للحبيب، وحينئذٍ فقط تنتقل القناعات الإيمانيّة النظريّة إلى السلوك الإيمانيّ العمليّ، وحينئذٍ يكون الضمان الأسمى[2]. فحبّ الله ـ تعالى ـ هو الضمان وهو الّذي يجب أن يعيشه الإنسان في وجدانه، وفي كلّ وجوده؛ لأنّ الله ـ تعالى ـ هو المنعم، وشكر المنعم الّذي أفاض علينا الوجود، ونعمه لا يمكن إحصاؤها وعدّها؛ واجبٌ بلا شكٍّ أو ريبٍ، ﴿وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

---

(1) المصدر السابق، ج 95، ص 227، دعاء عرفة.

(2) انظر، الأعرجي، زهير، الأخلاق القرآنيّة، ص 96.



الخاتمة

إنّ المعرفة والتوحيد وحبّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أمورٌ تجلّت في مضامين هٰذا الدعاء الشريف، بحيث نجد أرقى المعاني وأسمى الكلمات الّتي تنسجم مع معارفنا القرآنيّة، فما من مفردةٍ ينطق بها عليه السلام إلّا وكان لها شاهدٌ من القرآن، فقد ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: «وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»[1]، نعم هم والقرآن صنوان لا يفترقان، فالحسين عليه السلام هو العارف الحقيقي بالله تعالى، وهو الموحّد لله جلّ وعلا؛ لذا عندما نزورهم عليهم السلام نجد هٰذا المعنى «السلام على محالّ معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهري أمر الله ونهيه»[2].

نسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يكون ما كتبناه في ميزان أعمالنا، وأن يغفر الله لنا ويعفو عنا ببركة إمامنا الحسين عليه السلام، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

---

(1) الصدوق، محمّد بن عليٍّ، كمال الدين وإتمام النعمة، ص 240.

(2) ابن قولويه، جعفر بن محمّدٍ، كامل الزيارات، ص 504.

دعاء الإمام الحسين عليه السلام

في يوم عرفة

نصّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة

روى بشرٌ وبشيرٌ ابنا غالبٍ الأسديّ، قالا: كنّا مع الحسين بن عليٍّ عشيّة عرفة، فخرج من فُسطاطه متذلّلًا خاشعًا، فجعل يمشي هونًا هونًا، حتّى وقف هو وجماعةٌ من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صَانِعٍ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ، فَطَرَ أَجْنَاسَ الْبَدَائِعِ، وَأَتْقَنَ بِحِكْمَتِهِ الصَّنَائِعِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الطَّلَائِعِ، وَلَا تَضِيعُ عِنْدَهُ الْوَدَائِعُ، جَازِي كُلِّ صَانِعٍ وَرَايِشُ كُلِّ قَانِعٍ، وَرَاحِمُ كُلِّ ضَارِعٍ، مُنْزِلُ الْمَنَافِعِ وَالْكِتَابِ الْجَامِعِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَهُوَ لِلدَّعَوَاتِ سَامِعٌ، وَلِلْكُرُبَاتِ دَافِعٌ، وَلِلْدَّرَجَاتِ رَافِعٌ، وَلِلْجَبَابِرَةِ قَامِعٌ؛ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللّهُمَّ إِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ وَأَشْهَدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَكَ مُقِرًّا بِأَنَّكَ رَبِّي وَإِلَيْكَ مَرَدِّي. ابْتَدأتَنِي بِنِعْمَتِكَ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَخَلَقْتَنِي مِنَ التُرابِ ثُمَّ اسْكَنْتَنِي الأَصْلابَ آمِنًا لِرَيْبِ الْمَنُونِ وَاخْتِلافِ الدُّهُورِ وَالسِّنِينَ، فَلَم أَزَلْ ظاعِنًا مِنْ صُلْبِ إِلى

رَحِمٍ فِي تَقادُمٍ مِنْ الأَيَّامِ الماضِيَةِ وَالقُرُونِ الخالِيَةِ، لَمْ تُخْرِجْنِي لِرأْفَتِكَ بِي وَلُطْفِكَ لِي وَإِحْسانِكَ إِلَيَّ فِي دَوْلَةِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لكِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي لِلَّذِي سَبَقَ لِي مِنَ الهُدى الَّذِي لَهُ يَسَّرْتَنِي، وَفِيهِ أَنْشَأْتَنِي وَمِنْ قَبْلِ ذلِكَ رَؤُفْتَ بِي بِجَمِيلِ صُنْعِكَ وَسَوابِغِ نِعَمِكَ، فَابْتَدَعْتَ خَلْقِي مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى، وَأَسْكَنْتَنِي فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ بَيْنَ لَحْمٍ وَدَمٍ وَجِلْدٍ لَمْ تُشْهِدْنِي خَلْقِي، وَلَمْ تَجْعَلْ إِلَيَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِي ثُمَّ أَخْرَجْتَنِي لِلَّذِي سَبَقَ لِي مِنَ الهُدى إِلى الدُّنْيا تامًّا سَوِيًّا وَحَفَظْتَنِي فِي المَهْدِ طِفْلًا صَبِيًّا، وَرَزَقْتَنِي مِنَ الغِذاءِ لَبَنًا مَرِيًّا، وَعَطَفْتَ عَلَيَّ قُلُوبَ الحَواضِنِ وَكَفَّلْتَنِي الأُمَّهاتِ الرَّواحِمَ، وَكَلأْتَنِي مِنْ طَوارِقِ الجانِّ وَسَلَّمْتَنِي مِنَ الزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ، فَتَعالَيْتَ يا رَحِيمُ يا رَحْمنُ حَتَّى إِذا اسْتَهْلَلْتُ ناطِقًا بِالكَلامِ أَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوابِغَ الأَنِعْامِ، وَرَبَّيْتَنِي زائِدًا فِي كُلِّ عامٍ، حَتَّى إِذا اكْتَمَلَتْ فِطْرَتِي وَاعْتَدَلَتْ مِرَّتِي أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ بِأَنْ أَلْهَمْتَنِي مَعْرِفَتَكَ وَرَوَّعْتَنِي بِعَجائِبِ حِكْمَتِكَ، وَأَيْقَظْتَنِي لِما ذَرَأْتَ فِي سَمائِكَ وَأَرْضِكَ مِنْ بَدائِعِ خَلْقِكَ وَنَبَّهْتَنِي لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ، وَأَوْجَبْتَ عَلَيَّ طاعَتَكَ وَعِبادَتَكَ وَفَهَّمْتَنِي ما جاءَتْ بِهِ رُسُلُكَ، وَيَسَّرْتَ لِي تَقَبُّلَ مَرْضاتِكَ وَمَنَنْتَ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذلِكَ بِعَوْنِكَ وَلُطْفِكَ. ثُمَّ إِذْ خَلَقْتَنِي مِنْ خَيْرِ الثَّرى لَمْ تَرْضَ لِي يا إِلهِي نِعْمَةً دُونَ أُخْرى وَرَزَقْتَنِي مِنْ أَنْواعِ المَعاشِ وَصُنُوفِ الرِّياشِ بِمَنِّكَ العَظِيمِ الأَعْظَمِ عَلَيَّ وَإِحْسانِكَ القَدِيمِ إِلَيَّ، حَتَّى إِذا أَتْمَمْتَ

عَلَيَّ جَمِيعَ النِّعَمِ وَصَرَفْتَ عَنِّي كُلَّ النِّقَمِ لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلِي وَجُرْأَتِي عَلَيْكَ أَنْ دَلَلْتَنِي إِلى ما يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ وَوَفَّقْتَنِي لِما يُزْلِفُنِي لَدَيْكَ، فَإِنْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي وَإِنْ سَأَلْتُكَ أَعْطَيْتَنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ شَكَرْتَنِي وَإِنْ شَكَرْتُكَ زِدْتَنِي؛ كُلُّ ذلِكَ إِكْمالٌ لأَنْعُمِكَ عَلَيَّ وَإِحْسانِكَ إِلَيَّ فَسُبْحانَكَ سُبْحانَكَ مِنْ مُبْدِئٍ مُعِيدٍ حَمِيدٍ مَجِيدٍ وَتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُكَ وَعَظُمَتْ آلاؤُكَ. فَأَيُّ نِعَمِكَ يا إِلهِي أُحْصِي عَدَدًا وَذِكْرًا أَمْ أَيُّ عَطاياكَ أَقُومُ بِها شُكْرًا؟ وَهِيَ يا رَبِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيها العادُّونَ أَوْ يَبْلُغَ عِلْما بِها الحافِظُونَ، ثُمَّ ما صَرَفْتَ وَدَرَأْتَ عَنِّي اللّهُمَّ مِنَ الضُّرِّ وَالضَّرَّاءِ أَكْثَرُ مِمَّا ظَهَرَ لِي مِنَ العافِيَةِ وَالسَّرَّاءِ، وَأَنا أَشْهَدُ يا إِلهِي بِحَقِيقَةِ إِيْمانِي وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقِينِي وَخالِصِ صَرِيحِ تَوْحِيدِي وَباطِنِ مَكْنُونِ ضَمِيرِي وَعَلائِقِ مَجارِي نُورِ بَصَرِي وَأَسارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسِي وَخَذارِيفِ مارِنِ عِرْنيني وَمَسارِبِ سِماخِ سَمْعِي وَما ضُمَّتْ وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتايَ وَحَرَكاتِ لَفْظِ لِسانِي وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمِي وَفَكِّي وَمَنابِتِ أَضْراسِي وَمَساغِ مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَحِمالَةِ أُمِّ رَأْسِي وَبُلوعِ فارِغِ حَبَائِلِ عُنُقِي وَما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُ صَدْرِي وَحَمائِلُ حَبْلِ وَتِينِي وَنِياطِ حِجابِ قَلْبِي وَأَفْلاذِ حَواشِي كَبِدِي وَما حَوَتْهُ شَراسِيفُ أَضْلاعِي وَحِقاقُ مَفاصِلِي وَقَبْضُ عَوامِلِي وَأَطْرافِ أَنامِلِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَعَصَبِي وَقَصَبِي وَعِظامِي وَمُخِّي وَعُرُوقِي وَجَمِيعِ جَوارِحِي وَما انْتَسَجَ عَلى ذلِكَ أَيّامَ رِضاعِي وَما أَقَلَّتِ

الأَرْضُ مِنِّي وَنَوْمِي وَيَقْظَتِي وَسُكُونِي وَحَرَكاتِ رُكُوعِي وَسُجُودِي؛ أَنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدى الأَعْصارِ وَالأَحْقابِ لَوْ عُمِّرْتُها أَنْ أُؤَدِّي شُكْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ أَنْعُمِكَ ما اسْتَطَعْتُ ذلِكَ إِلّا بِمَنِّكَ المُوجَبِ عَلَيَّ بِهِ شُكْرُكَ أَبَدًا جَدِيدًا وَثَناءً طارِفًا عَتِيدًا! أَجَلْ، وَلَوْ حَرَصْتُ أَنا وَالعادُّونَ مِنْ أَنامِكَ أَنْ نُحْصِيَ مَدى إِنْعامِكَ سالِفِهِ وَآنِفِهِ ما حَصَرْناهُ عَدَدًا وَلا أَحْصَيْناهُ أَمَدًا. هَيْهاتَ أَنَّى ذلِكَ وَأَنْتَ المُخْبِرُ فِي كِتابِكَ النَّاطِقِ وَالنَّبَإِ الصَّادِقِ: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها، صَدَقَ كِتابُكَ اللّهُمَّ وَإِنْباؤُكَ، وَبَلَّغَتْ أَنْبِياؤُكَ وَرُسُلُكَ ما أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِكَ وَشَرَعْتَ لَهُمْ وَبِهِمْ مِنْ دِينِكَ غَيْرَ أَنِّي يا إِلهِي أَشْهَدُ بِجُهْدِي وَجِدِّي وَمَبْلَغِ طاعَتِي وَوُسْعِي، وَأَقُولُ مُؤْمِنًا مُوقِنًا: الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا فَيَكُونَ مَوْرُوثًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ فَيُضادَّهُ فِيما ابْتَدَعَ وَلا وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ فَيُرْفِدَهُ فِيما صَنَعَ، فَسُبْحانَهُ سُبْحانَهُ لَوْ كان فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللهُ لَفَسَدَتا وَتَفَطَّرَتا! سُبْحانَ اللهِ الواحِدِ الأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد، الحَمْدُ للهِ حَمْدًا يُعادِلُ حَمْدَ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيائِهِ المُرْسَلِينَ وَصَلّى اللهُ عَلى خِيرَتِهِ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ المُخْلِصِينَ وَسَلَّمَ.

ثمّ اندفع عليه السلام فِي المسألة واجتهد فِي الدعاء وقال وَعيناه سالتا دموعًا:

اللّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشاكَ كَأَنِّي أَراكَ وَأَسْعِدْنِي بِتَقْواكَ وَلا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ وَخِرْ لِي فِي قَضائِكَ وَبارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ حَتَّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ ما أَخَّرْتَ وَلا تَأْخِيرَ ما عَجَّلْتَ، اللّهُمَّ اجْعَلْ غِنايَ فِي نَفْسِي وَاليَّقِينَ فِي قَلْبِي وَالإِخْلاصَ فِي عَمَلِي وَالنُّورَ فِي بَصَرِي وَالبَصِيرَةَ فِي دِينِي وَمَتِّعْنِي بِجَوارِحِي وَاجْعَلْ سَمْعِي وَبَصَرِي الوارِثَيْنِ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلى مَنْ ظَلَمَنِي وَأَرِنِي فِيهِ ثارِي وَمَآرِبِي وَأَقِرَّ بِذلِكَ عَيْنِي، اللّهُمَّ اكْشِفْ كُرْبَتِي وَاسْتُرْ عَوْرَتِي وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَإخْسَاءْ شَيْطانِي وَفُكَّ رِهانِي وَاجْعَلْ لِي يا إِلهِي الدَّرَجَةَ العُلْيا فِي الآخرةِ وَالأوّلى، اللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَما خَلَقْتَنِي فَجَعَلْتَنِي سَميعًا بَصِيرًا وَلَكَ الحَمْدُ كَما خَلَقْتَنِي فَجَعَلْتَنِي خَلْقًا سَوِيًّا رَحْمَةً بِي وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقِي غَنِيًّا بِما بَرَأْتَنِي فَعَدَّلْتَ فِطْرَتِي. رَبِّ بِما أَنْشَأْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي رَبِّ بِما أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَفِي نَفْسِي عافَيْتَنِي رَبِّ بِما كَلأْتَنِي وَوَفَّقْتَنِي رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَنِي رَبِّ بِما أَوْلَيْتَنِي وَمِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَعْطَيْتَنِي رَبِّ بِما أَعْطَيْتَنِي وَسَقَيْتَنِي رَبِّ بِما أَغْنَيْتَنِي وَاقْنَيْتَنِي رَبِّ بِما اعَنْتَنِي وَأَعْزَزْتَنِي رَبِّ بِما أَلْبَسْتَنِي مِنْ سِتْرِكَ الصّافِي وَيَسَّرْتَ لِي مِنْ صُنْعِكَ الكافِي؛ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِنِّي عَلى بَوائِقِ الدُّهُورِ وَصُرُوفِ اللَّيالِي وَالأَيَّامِ وَنَجِّنِي مِنْ أَهْوالِ الدُّنْيا وَكُرُباتِ الآخرةِ وَاكْفِنِي شَرَّ ما يَعْمَلُ الظّالِمُونَ فِي الأَرْضِ، اللّهُمَّ ما أَخافُ فَاكْفِنِي وَما أَحْذَرُ فَقِنِي وَفِي نَفْسِي وَدِينِي فَاحْرُسْنِي وَفِي سَفَرِي فَاحْفَظْنِي وَفِي

أَهْلِي وَمالِي فَاخْلُفْنِي وَفِيما رَزَقْتَنِي فَبارِكْ لِي وَفِي نَفْسِي فَذَلِّلْنِي وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَعَظِّمْنِي وَمِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ فَسَلِّمْنِي وَبِذُنُوبِي فَلا تَفْضَحْنِي وَبِسَرِيرَتِي فَلا تُخْزِنِّي وَبِعَمَلِي فَلا تَبْتَلِنِي وَنِعَمَكَ فَلا تَسْلُبْنِي وَإِلى غَيْرِكَ فَلا تَكِلْنِي إِلهِي إِلى مَنْ تَكِلُنِي إِلى قَرِيبٍ فَيَقْطَعُنِي أَمْ إِلى بَعِيدٍ فَيَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلى المُسْتَضْعِفِينَ لِي وَأَنْتَ رَبِّي وَمَلِيكُ أَمْرِي؟ أَشْكُو إِلَيْكَ غُرْبَتِي وَبُعْدَ دارِي وَهَوانِي عَلى مَنْ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِلهِي فَلا تُحْلِلْ عَلَيَّ غَضَبَكَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَضِبْتَ عَلَيَّ فَلا أُبالِي سُبْحانَكَ غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، فَأَسْأَلُكَ يا رَبِّ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الأَرْضُ وَالسَّماواتُ وَكُشِفَتْ بِهِ الظُّلُماتُ وَصَلُحَ بِهِ أَمْرُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ أَنْ لا تُمِيتَنِي عَلى غَضَبِكَ وَلا تُنْزِلْ بِي سَخَطَكَ لَكَ العُتْبى لَكَ العُتْبى حَتَّى تَرْضى قَبْلَ ذلِكَ. لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ رَبَّ البَلَدِ الحَرامِ وَالمَشْعَرِ الحَرامِ وَالبَيْتِ العَتِيقِ الَّذِي أَحْلَلْتَهُ البَرَكَةَ وَجَعَلْتَهُ لِلنَّاسِ أَمْنا، يا مَنْ عَفا عَنْ عَظِيمِ الذُّنُوبِ بِحِلْمِهِ يا مَنْ أَسْبَغَ النَّعْماءِ بِفَضْلِهِ يا مَنْ أَعْطى الجَزِيلَ بِكَرَمِهِ يا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي يا صاحِبِي فِي وَحْدَتِي يا غِياثِي فِي كُرْبَتِي يا وَلِيِّي فِي نِعْمَتِي يا إِلهِي وَإِلهَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَرَبَّ جَبْرَئِيلَ وَمِيكائِيلَ وَإِسْرافِيلَ وَرَبَّ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ المُنْتَجَبِينَ وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقانِ وَمُنَزِّلَ كهيعص وَطه وَيّس وَالقُرْآنَ الحَكِيم، أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تُعْيِينِي المَذاهِبُ فِي سَعَتِها وَتَضِيقُ بِيَ الأَرْضُ بِرُحْبِها وَلَوْلا

رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الهالِكِينَ، وَأَنْتَ مُقِيلُ عَثْرَتِي وَلَوْلا سَتْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنْ المَفْضُوحِينَ وَأَنْتَ مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ عَلى أَعْدائِي وَلَولا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ المَغْلُوبِينَ. يا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالسُّمُوِّ وَالرِّفْعَةِ فَأَوْلِياؤُهُ بِعِزِّهِ يَعْتَزُّونَ يا مَنْ جَعَلَتْ لَهُ المُلُوكُ نَيْرَ المَذَلَّةِ عَلى أَعْناقِهِمْ فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفُونَ يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورِ وَغَيْبَ ما تَأْتِي بِهِ الأَزْمِنَةُ وَالدُّهُورِ يا مَنْ لا يَعْلَمُ كَيْف هُوَ إِلّا هُوَ يا مَنْ لا يَعْلَمُ ما هُوَ إِلّا هُوَ يا مَنْ لا يَعْلَمُهُ إِلّا هُوَ يا مَنْ كَبَسَ الأَرْضَ عَلى الماءِ وَسَدَّ الهَواءَ بِالسَّماء يا مَنْ لَهُ أَكْرَمُ الأَسَّماء، يا ذا المَعْرُوفِ الَّذِي لا يَنْقَطِعُ أَبَدًا يا مُقَيِّضَ الرَّكْبِ لِيُوسُفَ فِي البَلَدِ القَفْرِ وَمُخْرِجَهُ مِنْ الجُبِّ وَجاعِلَهُ بَعْدَ العُبُودِيَّةِ مَلِكًا يا رادَّهُ عَلى يَعْقُوبَ بَعْدَ أَنِ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنُ فَهُوَ كَظِيمٌ، يا كاشِفَ الضُّرِّ وَالبَلْوى عَنْ أَيُّوبَ وَمُمْسِكَ يَدَيْ إِبْراهِيمَ عَنْ ذَبْحِ ابْنِهِ بَعْدَ كِبَرِ سِنِّهِ وَفَناءِ عُمُرِهِ، يا مَنِ اسْتَجابَ لِزَكَرِيَّا فَوَهَبَ لَهُ يَحْيى وَلَمْ يَدَعْهُ فَرْدًا وَحِيدًا، يا مَنْ أَخْرَجَ يُونُسَ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ يا مَنْ فَلَقَ البَحْرَ لِبَنِي إِسْرائِيلَ فَأَنْجاهُمْ وَجَعَلَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ المُغْرَقِينَ يا مَنْ أَرْسَلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ يا مَنْ لَمْ يَعْجَلْ عَلى مِنْ عَصاهُ مِنْ خَلْقِهِ يا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحَرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الجُحُودِ وَقَدْ غَدَوا فِي نِعْمَتِهِ يَأْكُلُونَ رِزْقَهُ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ وَقَدْ حادُّوهُ وَنادُّوهُ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ. يا اللهُ يا اللهُ يا بَدِيءُ يا بَدِيعُ لا نِدَّ لك يا دائِمًا لا نَفادَ لَكَ يا حَيًّا حِينَ لا حَيَّ يا مُحْيِيَ المَوْتى

يا مَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ، يا مَنْ قَلَّ لَهُ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي وَعَظُمَتْ خَطِيئَتِي فَلَمْ يَفْضَحْنِي وَرَآنِي عَلى المَعاصِي فَلَمْ يَشْهرْنِي يا مَنْ حَفِظَنِي فِي صِغَرِي يا مَنْ رَزَقَنِي فِي كِبَرِي يا مَنْ أَيادِيهِ عِنْدِي لا تُحْصى وَنِعَمُهُ لا تُجازى يا مَنْ عارَضَنِي بِالخَيْرِ وَالإحْسانِ وَعارَضْتُهُ بِالإِساءَةِ وَالعِصْيانِ يا مَنْ هَدانِي لِلْإِيمانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ شُكْرَ الاِمْتِنانِ، يا مَنْ دَعَوْتُهُ مَرِيضًا فَشَفانِي وَعُرْيانًا فَكَسانِي وَجائِعًا فَأَشْبَعَنِي وَعَطْشانًا فَأَرْوانِي وَذَلِيلًا فَأَعَزَّنِي وَجاهِلًا فَعَرَّفَنِي وَوَحِيدًا فَكَثَّرَنِي وَغايِبًا فَرَدَّنِي وَمُقِلًا فَأَغْنانِي وَمُنْتَصِرًا فَنَصَرَنِي وَغَنِيًّا فَلَمْ يَسْلُبْنِي وَأَمْسَكْتُ عَنْ جَمِيعِ ذلِكَ فَابْتَدَأَنِي؛ فَلَكَ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ يا مَنْ أَقالَ عَثْرَتِي وَنَفَّسَ كُرْبَتِي وَأَجابَ دَعْوَتِي وَسَتَرَ عَوْرَتِي وَغَفَرَ ذُنُوبِي وَبَلَّغَنِي طَلَبِي وَنَصَرَنِي عَلى عَدُوِّي وَإِنْ أَعُدَّ نِعَمَكَ وَمِنَنَكَ وَكَرائِمِ مِنَحِكَ لا أُحْصِيها، يا مَوْلايَ أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ أَنْتَ الّذِي أَنْعَمْتَ أَنْتَ الَّذِي أَحْسَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَجْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَفْضَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي رَزَقْتَ أَنْتَ الَّذِي وَفَّقْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَغْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَ أَنْتَ الَّذِي كَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَصَمْتَ أَنْتَ الَّذِي سَتَرْتَ أَنْتَ الَّذِي غَفَرْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقَلْتَ أَنْتَ الَّذِي مَكَّنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْزَزْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعَنْتَ أَنْتَ الَّذِي عَضَدْتَ أَنْتَ الَّذِي أَيَّدْتَ أَنْتَ الَّذِي نَصَرْتَ أَنْتَ الَّذِي شَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عافَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْرَمْتَ،

تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ فَلَكَ الحَمْدُ دائِمًا وَلَكَ الشُّكْرُ وَاصِبًا أَبَدًا، ثُمَّ أَنا يا إِلٰهِي المُعْتَرِفُ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْها لِي. أَنا الَّذِي أَسَأْتُ أَنا الَّذِي أَخْطَأْتُ أَنا الَّذِي هَمَمْتُ أَنا الَّذِي جَهِلْتُ أَنا الَّذِي غَفَلْتُ أَنا الَّذِي سَهَوْتُ أَنا الَّذِي أَعْتَمَدْتُ أَنا الَّذِي تَعَمَّدْتُ أَنا الَّذِي وَعَدْتُ أَنا الَّذِي أَخْلَفْتُ أَنا الَّذِي نَكَثْتُ أَنا الَّذِي أَقْرَرْتُ أَنا الَّذِي اعْتَرَفْتُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَعِنْدِي، وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْها لِي يا مَنْ لا تَضُرُّهُ ذُنُوبُ عِبادِهِ وَهُوَ الغَنِيُّ عَنْ طاعَتِهِمْ وَالمُوَفِّقُ مَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. فَلَكَ الحَمْدُ إِلٰهِي وَسَيِّدِي أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُكَ وَنَهَيْتَنِي فَارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ فَأَصْبَحْتُ لا ذا بَراءَةٍ لِي فَأَعْتَذِرُ وَلا ذا قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتَصِرُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَسْتَقْبِلُكَ يا مَوْلايَ أَبِسَمْعِي أَمْ بِبَصَرِي أَمْ بِلِسانِي أَمْ بِيَدِي أَمْ بِرِجْلِي؟ أَلَيْسَ كُلُّها نِعَمَكَ عِنْدِي وَبِكُلِّها عَصَيْتُكَ يا مَوْلايَ؟ فَلَكَ الحُجَّةُ وَالسَّبِيلُ عَلَيَّ يا مَنْ سَتَرَنِي مِنَ الآباءِ وَالأُمَّهاتِ أَنْ يَزْجُرُونِي وَمِنَ العَشائِرِ وَالإِخْوانِ أَنْ يُعَيِّرُونِي وَمِنَ السَّلاطِينِ أَنْ يُعاقِبُونِي، وَلَوْ اطَّلَعُوا يا مَوْلايَ عَلى ما اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي إِذن ما أَنْظَرُونِي وَلَرَفَضُونِي وَقَطَعُونِي؛ فَهاأَنذا يا إِلٰهِي بَيْنَ يَدَيْكَ يا سَيِّدِي خاضِعٌ ذَلِيلٌ حَصِيرٌ فَقِيرٌ لا ذو بَراءَةٍ فَأَعْتَذِرُ وَلا ذو قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرُ وَلا حُجَّةٍ فَاحْتَجُّ بِها وَلا قائِلٌ لَمْ اجْتَرِحْ وَلَمْ أَعْمَلْ سُوءًا، وَما عَسى الجُحُودُ وَلَوْ جَحَدْتُ يا مَوْلايَ يَنْفَعُنِي كَيْفَ وَأَنَّى ذلِكَ وَجَوارِحِي كُلُّها شاهِدَةٌ عَلَيَّ بِما قَدْ عَمِلْتُ؟ وَعَلِمْتُ يَقِينًا غَيْرَ ذِي شَكٍّ أَنَّكَ سائِلِي مِنْ عَظائِمِ الأُمُورِ

وَأَنَّكَ الحَكمُ العَدْلُ الَّذِي لاتَجُورُ وَعَـدْلُكَ مُهْلِـكِي وَمِـنْ كُلِّ عَـدْلِكَ مَهْرَبِي فَإِنْ تُعَذِّبْنِي يا إِلِهِي فَبِذُنُوبِي بَعْدَ حُجَّتِكَ عَلَيَّ وَإِنْ تَعْفُ عَـنِّي فَبِحِلْمِكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ، لا إِلهَ إِلّا أَنْـتَ سُـبْحانَكَ إِنِّي كُنْـتُ مِـنَ الظَّالِمِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ المُسْتَغْفِرِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُوَحِّـدِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْـتَ سُـبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الخائِفِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِـنَ الـوَجِلِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الرَّاجِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْـتَ سُـبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الرَّاغِبِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُهَلِّلِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْـتَ سُـبْحانَكَ إِنِّي كُنْـتُ مِـنَ السَّـائِلِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْـتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُسَبِّحِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْـتُ مِنَ المُكَبِّرِينَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ رَبِّي وَرَبُّ آبائِيَ الأَوّلِينَ. اللّهُـمَّ هذا ثَنائِي عَلَيْكَ مُمَجِّدًا وَإِخْلاصِي لِذِكْرِكَ مُوَحِّدًا وَإِقْـرارِي بِآلائِـكَ مُعَدِّدًا، وَإِنْ كُنْتُ مُقِرًّا إِنِّي لَمْ أُحْصِها لِكَثْرَتِها وَسُـبُوغِها وَتَظاهُرِهـا وَتَقادُمِها إِلى حادِثٍ ما لَمْ تَزَلْ تَتَعَهَّدُنِي بِهِ مَعَها مُنْذُ خَلَقْتَنِي وَبَرَأْتَنِي مِنْ أَوَّلِ العُمرِ مِنَ الإغْناءِ مِنَ الفَقْرِ وَكَشْفِ الضُّـرِّ وَتَسْبِيبِ اليُسْـرِ وَدَفْعِ العُسْرِ وَتَفْرِيجِ الكَرْبِ وَالعافِيَةِ فِي البَدَنِ وَالسَّـلامَةِ فِي الدِّيـنِ، وَلَوْ رَفَدَنِي عَلى قَدْرِ نِعْمَتِكَ جَمِيعُ العالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِـرِينَ مـا قَدَرْتُ وَلا هُمْ عَلى ذلِكَ، تَقَدَّسْتَ وَتَعالَيْتَ مِنْ رَبٍّ عَظِـيمٍ رَحِـيمٍ لا تُحْصـى آلاؤُكَ وَلا يُبْلَغُ ثَناؤُكَ وَلا تُكافى نَعْماؤكَ صَلِّ عَلى مُحَمَّـدٍ وَآلِ

مُحَمَّدٍ وَأَتْمِمْ عَلَيْنا نِعَمَكَ وَأَسْعِدْنا بِطاعَتِكَ سُبْحانَكَ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ، اللّهُمَّ إِنَّكَ تُجِيبُ المُضْطَرَّ وَتَكْشِفُ السُّوءَ وَتُغِيثُ المَكْرُوبَ وَتُشْفِي السَّقِيمَ وَتُغْنِي الفَقِيرَ وَتَجْبُرُ الكَسِيرَ وَتَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَتُعِينُ الكَبِيرَ وَلَيْسَ دُونَكَ ظَهِيرٌ وَلا فَوْقَكَ قَدِيرٌ وَأَنْتَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، يا مُطْلِقَ المُكَبَّلِ الأَسِيرِ يا رازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يا عِصْمَةَ الخائِفِ المُسْتَجِيرِ يا مَنْ لا شَرِيكَ لَهُ وَلا وَزِيرَ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعْطِنِي فِي هذِهِ العَشِيَّةِ أَفْضَلَ ما أَعْطَيْتَ وَأَنَلْتَ أَحَدًا مِنَ العالَمِينَ مِنْ عِبادِكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُولِيها وَآلاءٍ تُجَدِّدُها وَبَلِيَّةٍ تَصْرِفُها وَكُرْبَةٍ تَكْشِفُها وَدَعْوَةٍ تَسْمَعُها وَحَسَنَةٍ تَتَقَبَّلُها وَسَيِّئَةٍ تَتَغَمَّدُها إِنَّكَ لَطِيفٌ بِما تَشاءُ خَبِيرٌ وَعَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللّهُمَّ إِنَّكَ أَقْرَبُ مَنْ دُعِيَ وَأَسْرَعُ مَنْ أَجابَ وَأَكْرَمُ مَنْ عَفا وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطى وَأَسْمَعُ مَنْ سُئِلْ يا رَحْمنَ الدُّنْيا وَالآخرةِ وَرَحِيمَهُما لَيْسَ كَمِثْلِكَ مَسْؤولٌ وَلا سِواكَ مَأْمُولٌ، دَعَوْتُكَ فَأَجَبْتَنِي وَسَأَلْتُكَ فَأَعْطَيْتَنِي وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَنِي وَوَثِقْت بِكَ فَنَجَّيْتَنِي وَفَزِعْتُ إِلَيْكَ فَكَفَيْتَنِي، اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَتَمِّمْ لَنا نَعْماءَكَ وَهَنِّئْنا عَطاءَكَ وَاكْتُبْنا لَكَ شاكِرِينَ وَلآلائِكَ ذاكِرِينَ آمِينَ آمِينَ رَبَّ العالَمِينَ. اللّهُمَّ يا مَنْ مَلَكَ فَقَدَرَ وَقَدَرَ فَقَهَرَ وَعُصِيَ فَسَتَرْ وَاسْتُغْفَرَ فَغَفَرَ يا غايَةَ الطّالِبِينَ وَمُنْتَهى أَمَلِ الرّاجِينَ يا مَنْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَوَسِعَ المُسْتَقِيلينَ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَحِلْمًا، اللّهُمَّ إِنّا

نَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي هذِهِ العَشِيَّةِ الَّتِي شَرَّفْتَها وَعَظَّمْتَها بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَأَمِينِكَ عَلى وَحْيِكَ البَشِيرِ النَّذِيرِ السِّراجِ المُنِيرِ الَّذِي أَنْعَمْتَ بِهِ عَلى المُسْلِمِينَ وَجَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ. اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَما مُحَمَّدٌ أَهْلٌ لِذلِكَ مِنْكَ يا عَظِيمُ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ المُنْتَجَبِينَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَتَغَمَّدْنا بِعَفْوِكَ عَنّا، فَإِلَيْكَ عَجَّتِ الْأَصْواتُ بِصُنُوفِ اللُّغاتِ فَاجْعَلْ لَنا اللّهُمَّ فِي هذِهِ العَشِيَّةِ نَصِيبًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تَقْسِمُهُ بَيْنَ عِبادِكَ وَنُورًا تَهْدِي بِهِ وَرَحْمَةً تَنْشُرُها وَبَرَكَةً تُنْزِلُها وَعافِيَةً تُجَلِّلُها وَرِزْقًا تَبْسُطُهُ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللّهُمَّ أَقْلِبْنا فِي هذا الوَقْتِ مُنْجِحِينَ مُفْلِحِينَ مَبْرُورِينَ غانِمِينَ وَلا تَجْعَلْنا مِنَ القانِطِينَ وَلا تُخْلِنا مِنْ رَحْمَتِكَ وَلا تَحْرِمْنا ما نُؤَمِّلُهُ مِنْ فَضْلِكَ وَلا تَجْعَلْنا مِنْ رَحْمَتِكَ مَحْرُومِينَ وَلا لِفَضْلِ ما نُؤَمِّلُهُ مِنْ عَطائِكَ قانِطِينَ وَلا تَرُدَّنا خائِبِينَ وَلا مِنْ بابِكَ مَطْرُودِينَ، يا أَجْوَدَ الأجْوَدِينَ وَياأَكْرَمَ الأكْرَمِينَ إِلَيْكَ أَقْبَلْنا مُوقِنِينَ وَلِبَيْتِكَ الحَرامِ آمِّينَ قاصِدِينَ فَأَعِنّا عَلى مَناسِكِنا وَكَمِّلْ لَنا حَجَّنا وَاعْفُ عَنّا وَعافِنا فَقَدْ مَدَدْنا إِلَيْكَ أَيْدِينا فَهِيَ بِذِلَّةِ الاِعْتِرافِ مَوْسُومَةٌ، اللّهُمَّ فَأَعْطِنا فِي هذِهِ العَشِيَّةِ ما سَأَلْناكَ وَاكْفِنا ما اسْتَكْفَيْناكَ فَلا كافِيَ لِنا سِواكَ وَلا رَبَّ لَنا غَيْرُكَ، نافِذٌ فِينا حُكْمُكَ مُحِيطٌ بِنا عِلْمُكَ عَدْلٌ فِينا قَضاؤُكَ اقْضِ لَنا الخَيْرَ وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، اللّهُمَّ أَوْجِبْ لَنا بِجُودِكَ عَظِيمَ الأجْرِ وَكَرِيمَ الذُّخْرِ وَدَوامَ اليُسْرِ

وَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا أَجْمَعِينَ وَلا تُهْلِكْنا مَعَ الهالِكِينَ وَلا تَصْرِفْ عَنّا رَأْفَتَكَ وَرَحْمَتَكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللّهُمَّ اجْعَلْنا فِي هذا الوَقْتِ مِمَّنْ سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ وَشَكَرَكَ فَزِدْتَهُ وَثابَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَهُ وَتَنَصَّلَ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِهِ كُلِّها فَغَفَرْتَها لَهُ يا ذا الجَلالِ وَالاِكْرامِ، اللّهُمَّ وَنَقِّنا وَسَدِّدْنا وَاقْبَلْ تَضَرُّعَنا يا خَيْرَ مَنْ سُئِلْ وَيا أَرْحَمَ مَنْ اسْتُرْحِمَ يا مَنْ لا يَخْفى عَلَيْهِ إِغْماضُ الجُفُونِ وَلا لَحْظُ العُيُونِ وَلا ما اسْتَقَرَّ فِي المَكْنُونِ وَلا ما انْطَوَتْ عَلَيْهِ مُضْمَراتُ القُلُوبِ أَلا كُلُّ ذلِكَ قَدْ أَحْصاهُ عِلْمُكَ وَوَسِعَهُ حِلْمُكَ. سُبْحانَكَ وَتَعالَيْتَ عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَكَ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضونَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، فَلَكَ الحَمْدُ وَالمَجْدُ وَعُلُوُّ الجَدِّ يا ذا الجَلالِ وَالاِكْرامِ وَالفَضْلِ وَالإنْعامِ وَالأَيادِي الجِسامِ وَأَنْتَ الجَوادُ الكَرِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، اللّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الحَلالِ وَعافِنِي فِي بَدَنِي وَدِينِي وَآمِنْ خَوْفِي وَاعْتِقْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، اللّهُمَّ لا تمْكُرْ بِي وَلا تَسْتَدْرِجْنِي وَلا تَخْدَعْنِي وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

ثم رفع رأسه وبصره إلى السماء وعيناه ماطرتان كأنّهما مزادتان، وقال بصوتٍ عالٍ:

يا أَسْمَع السَّامِعِينَ يا أَبْصَر النّاظِرِينَ وَيا أَسْرَعَ الحاسِبِينَ وَيا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ السَّادَةِ المَيامِينَ، وَأَسأَلُكَ اللّهُمَّ حاجَتِي الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيها لَمْ يَضُرَّنِي ما مَنَعْتَنِي وَإِنْ مَنَعْتَنِيها لَمْ

يَنْفَعْنِي ما أَعْطَيْتَنِي؛ أَسأَلُكَ فَكاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ المُلْكُ وَلَكَ الحَمْدُ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يا رَبِّ يا رَبِّ).

وكان يكرّر قوله : (يا رَبِّ)، وشغل من حضر ممّن كان حوله عن الدعاء لأنفسهم وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه، ثمّ علت أصواتهم بالبكاء معه وغربت الشمس وأفاض الناس معه.

أقول: إلى هنا تمّ دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة على ما أورده الكفعمي في كتاب (البلد الامين) وقد تبعه المجلسيّ في كتاب (زاد المعاد) ولكن زاد السيّد ابن طاووس رحمه الله في (الإقبال) بعد: (يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ...) هذه الزيادة:

إِلهِي أَنا الفَقِيرُ فِي غِنايَ فَكَيْفَ لا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي إِلهِي أَنا الجاهِلُ فِي عِلْمِي فَكَيْفَ لا أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي؟ إِلهِي إِنَّ اخْتِلافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ طَواءِ مَقادِيرِكَ مَنَعا عِبادَكَ العارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلى عَطاءٍ وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاءٍ، إِلهِي مِنِّي ما يَلِيقُ بِلُؤْمِي وَمِنْكَ ما يَلِيقُ بِكرَمِكَ، إِلهِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ لِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُما بَعْدَ وَجُودِ ضَعْفِي؟ إِلهِي إِنْ ظَهَرَتِ المَحاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ وَإِنْ ظَهَرَتِ المَساوِيُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ، إِلهِي كَيْفَ تَكِلُنِي وَقَدْ تَكَفَّلْتَ لِي وَكَيْفَ أُضامُ وَأَنْتَ النَّاصِرُ لِي، أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي؟ ها أَنا أَتَوَسَّلُ

إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِما هُوَ مُحالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حالِي وَهُوَ لا يَخْفى عَلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ بِمَقالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزٌ إِلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمالِي وَهِي قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ لا تُحْسِنُ أَحْوالِي وَبِكَ قامَتْ؟ إِلهِي ما أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي وَما أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي! إِلهِي ما أَقْرَبَكَ مِنِّي وَأَبْعَدَنِي عَنْكَ وَما أَرْأَفَكَ بِي! فَما الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ؟ إِلهِي عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثارِ وَتَنَقُّلاتِ الأَطْوارِ أَنَّ مُرادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ، إِلهِي كُلَّما أَخْرَسَنِي لُؤْمِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ وَكُلَّما آيَسَتْنِي أَوْصافِي أَطْمَعَتْنِي مِنَنُكَ، إِلهِي مَنْ كانَتْ مَحاسِنُهُ مَساوِيَ فَكَيْفَ لا تَكُونُ مَساوِؤُهُ مَساوِيَ، وَمَنْ كانَتْ حَقائِقُهُ دَعاوِي فَكَيْفَ لا تَكُونُ دَعاواهُ دَعاوِي، إِلهِي حُكْمُكَ النَّافِذُ وَمَشِيئَتُكَ القاهِرَةِ لَمْ يَتْرُكا لِذِي مَقالٍ مَقالًا وَلا لِذِي حالٍ حالًا، إِلهِي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بَنَيْتُها وَحالَةٍ شَيَّدْتُها هَدَمَ اعْتِمادِي عَلَيْها عَدْلُكَ بَلْ أَقالَنِي مِنْها فَضْلُكَ، إِلهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَّاعَةُ مِنِّي فِعْلًا جَزْمًا فَقَدْ دامَتْ مَحَبَّةً وَعَزْمًا، إِلهِي كَيْفَ أَعْزِمُ وَأَنْتَ القاهِرُ وَكَيْفَ لا أَعْزِمُ وَأَنْتَ الأَمِرُ؟ إِلهِي تَرَدُّدِي فِي الآثارِ يُوجِبُ بُعْدَ المَزارِ فاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ، كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرَ لَكَ؟ مَتى غِبْتَ حَتَّى تَحْتاجَ إِلى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتى

بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ؟ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَـراكَ عَلَيْها رَقِيبًا وَخَسِـرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلَ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا، إِلهِي أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلى الآثارِ فَـارْجِعْنِي إِلَيْـكَ بِكِسْـوَةِ الأَنْـوارِ وَهِدايَـةِ الاِسْتِبْصارِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْها كَما دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْها مَصُونَ السِّرِّ عَنْ النَّظَرِ إِلَيْها وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاِعْتِمادِ عَلَيْها إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِلهِي هذا ذُلِّي ظاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ وَهذا حالِي لا يَخْفى عَلَيْكَ مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْكَ وَبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، إِلهِي عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ وَصُنِّي بِسِتْرِكَ المَصُونِ إِلهِي حَقِّقْنِي بِحَقائِقِ أَهْلِ القُرْبِ وَاسْـلُكَ بِي مَسْـلَكَ أَهْلِ الجَذْبِ، إِلهِي أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ لِي عَنْ تَـدْبِيرِي وَبِاخْتِيـارِكَ عَـنْ اخْتِيارِي وَأَوْقِفْـنِي عَلى مَراكِـزِ اضْـطِرارِي، إِلـهِي أَخْـرِجْنِي مِـنْ ذُلِّ نَفْسِـي وَطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وَشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِـي، بِـكَ أَنْتَصِــرُ فَانْصُرْنِي وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلا تَكِلْنِي وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلا تُخَيِّبْنِي وَفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلا تَحْرِمْنِي وَبِجَنابِكَ أَنْتَسِبُ فَلا تُبْعِدْنِي وَبِبابِـكَ أَقِـفُ فَـلا تَطْرُدْنِي، إِلهِي تَقَدَّسَ رِضاكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ فَكَيْفَ يَكُـونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي؟ إِلهِي أَنْتَ الغَنِيُّ بِذاتِكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ فَكَيْـفَ لا تَكُونُ غَنِيّا عَـنِّي؟ إِلـهِي إِنَّ القَضـاءَ وَالقَـدَرَ يُمَنِّيـنِي وَإِنَّ الهَـوى بِوَثائِقِ الشَّهْوَةِ أَسَرَنِي فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرَ لِي حَـتَّى تَنْصُرَـنِي وَتُبَصِّرَـنِي وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتَّى اسْتَغْنِي بِكَ عَـنْ طَلَـبِي، أَنْـتَ الَّذِي أَشْرَقْـتَ

الأنْوارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلى غَيْرِكَ أَنْتَ المُوْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ العَوالِمُ وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبانَتْ لَهُمُ المَعالِمُ، ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَما الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟ لَقَدْ خابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغى عَنْكَ مُتَحَوَّلًا، كَيْفَ يُرْجى سِواكَ وَأَنْتَ ما قَطَعْتَ الإِحْسانَ وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مابَدَّلْتَ عادَةَ الاِمْتِنانِ؟ يا مَنْ أَذاقَ أَحِبَّأَهُ حَلاوَةَ المُؤانَسَةِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ وَيا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيائهُ مَلابِسَ هَيْبَتِهِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَغْفِرِينَ، أَنْتَ الذَّاكِرُ قَبْلَ الذَّاكِرِينَ وَأَنْتَ البادِئُ بِالإِحْسانِ قَبْلَ تَوَجُّهِ العابِدِينَ وَأَنْتَ الجَوادُ بِالعَطاءِ قَبْلَ طَلَبِ الطَّالِبِينَ وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ لِما وَهَبْتَ لَنا مِنَ المُسْتَقْرِضِينَ، إِلهِي اطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ وَاجْذُبْنِي بِمَنِّكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ، إِلهِي إِنَّ رَجائِي لا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ كَما أَنَّ خَوْفِي لا يُزايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ فَقَدْ دَفَعَتْنِي العَوالِمُ إِلَيْكَ وَقَدْ أَوْقَعَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ عَلَيْكَ، إِلهِي كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي أَمْ كَيْفَ أُهانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكَلِي، إِلهِي كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَفِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي أَمْ كَيْفَ لا أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي؟ إِلهِي كَيْفَ لا أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي فِي الفُقَراءِ أَقَمْتَنِي أَمْ كَيفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي وَأَنْتَ الَّذِي لا إِلهَ غَيْرُكَ تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَما جَهِلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ

فَرَأَيْتُكَ ظاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ. يا مَنْ اسْتَوى بِرَحْمانِيَّتِه فَصارَ العَرْشُ غَيْبًا فِي ذاتِهِ مَحَقْتَ الآثارَ بِالآثارِ وَمَحَوْتَ الأغْيارَ بِمُحِيطاتِ أَفْلاكِ الأنْوارِ، يا مَنْ احْتَجَبَ فِي سُرادِقاتِ عَرْشِهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأبْصارُ يا مَنْ تَجَلّى بِكمالِ بَهائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الاِسْتِواءِ، كَيْفَ تَخْفى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحاضِرُ؟ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ.

المصادر

القرآن الكريم

الصحيفة السجادية

1. ابن بابويه، علي، فقه الرضا، المؤتمر العالمي للإمـام الرضـا، مشـهد المقدسة، ط1، 1406 هـ.
2. ابن سينا، أبو علي، الحسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، نشر البلاغة، قم، ط1، 1375هـ.
3. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، ط1، 1405هـ.
4. الأعرجي، زهير، الأخلاق القرآنية، دار الزهراء، بيروت، 1407 هـ.
5. البحـراني، عبـاس أحمـد، أصـول المعرفـة في شرح دعاء عرفـة، منشورات مكتبة العلوم، المنامة، ط، 1409 هـ.
6. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهـراء، بـيروت، ط 4، 1395هـ.
7. الراوندي، قطـب الديـن، الدعـوات، مدرسـة الإمـام المهـدي، قـم المقدسة، ط1، 1407 هـ.
8. الـيزدي، مصـباح، محمـد تـقي، دروس في العقيـدة، دار الرسـول

الأكرم، ط1، 2008م.

9. الشيرازي، مكارم، تفسير الأمثل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم المقدسة، 1421 هـ.
10. الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، ط 1405 هـ.
11. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجامعة المدرسين، قم المقدسة.
12. الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1393 هـ.
13. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1409 هـ.
14. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط1، 1411هـ.
15. عبدة، محمد، نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ط1، 1412 هـ.
16. الفتال النيسابوري، علي بن محمد، روضة الواعظين، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.
17. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ.
18. الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ.

19. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، مؤسسة الأعلمي، بيروت،1430 هـ.
20. الكليني، محمد بن يعقوب، تحقيق، علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1984.
21. المازندراني، محمدصالح، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421 هـ.
22. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1403هـ.
23. مرتضى، فرج، شرح دعاء الامام الحسين في يوم عرفة، ط1، 1433 هـ.
24. مغنية، محمدجواد، نظرات في التصوف، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.
25. النراقي، محمدمهدي، جامع السعادات، دار النعمان، النجف الأشرف.
26. سبحاني، جعفر، الإلهيات، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة، 1414هـ.
27. سبحاني، جعفر، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ط 3، 1426هـ.
28. سبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ط 1، 1430 هـ.

المحتويات